دبّ ضجيج في حديقة منزل مبني بالحجر من طابقين في حي الدورة ببغداد .. رجال ملثمون يحملون مسدسات وعمود فولاذ، وسيوفاً مدببة تعكس ضوء المصباح في الممر الطويل .. لم يكونوا يسعون وراء صيد سمين، أو أموال، بل كانت دوافعهم أخلاقية، كما ادعوا.
"أعطوني هاتف ابنكم المخنث " ، أمر أحدهم ، وهو في منتصف العمر صاحب المنزل . انهم يريدون معرفة ما اذا كان ابنه (س.م) قد استدعى الأجانب الى بيته ... في واقع الأمر كان الابن قد دعا في وقت سابق، بل قبل ساعات فقط من الهجوم احد المراسلين الصحفيين لاجراء لقاء، وكان قد رحب مرارا بمنظمة مثليي الجنس غير الحكومية في لندن للحضور الى بيته . لحسن الحظ ، كان هذه المرة مستعداً لاستقبالهم ، فقائمة الاسماء والاتصال في الهاتف "نظيفة" .. انه يحتفظ بمجرد أرقام عادية . هذه المرة تركوه ، لكنهم تعهدوا بالعودة إذا ما وجدوا أي دليل على انه مثلي الجنس، أو كان يتحدث لأجانب غير مرغوب فيهم.

ظاهرة اجتماعية يرفض المسؤولون الاعتراف بها

- المثلية الجنسية موجودة بين الرجال والنساء
- طبيب: حالة مرضية.. والقتل ليس علاجاً

□ بغداد/ وائل نعمة

الآن الحرب الداخلية هدأت والعنف توقف الى حد ما، انه موسم مفتوح على المثليين جنسياً وغيرهم ممن يثيرون حفيظة المتشددين، وبعض المسلحين نصبوا انفسهم "شرطة اخلاقية " ليقتنصوا "الجرواي" ، وهذا هو الاسم الشائع بين المسلحين للمثليين.

ماذا يقول المسؤولون ؟

كأن العراق يخلو من المثليين، فالسلطات المعنية تسخر من طرح هذا الموضوع ، ويرفض المسؤولون الحديث عنه او اجراء لقاءات، وتهرب معظم الجمعيات والشخصيات من البحث في هذه الظاهرة، وكأنهم يتفادون حقل الغام، حيث يعتبر الشذوذ الجنسي غير موجود في البلاد ولكنه في الخفاء يمارس على نطاق واسع .

كانت عنوان السياسة خلال حكم صدام في ما ينعلق بهذا الأمر: "لا تسأل ، لا تتكلم". ولكن ذلك قد تغير الان. المنظمات غير الحكومية الأجنبية التي تعنى بحقوق المثليين تقول ان أكثر من ٤٣٠ مثلي الجنس من الرجال في العراق قتلوا منذ العام ٢٠٠٣، وهذا دليل على وجود عدد كبير منهم.
قبل اكثر من سنتين زادت مجاميع مسلحة من هجومها على مثليين جنسيا ، في اطار "حملة" منظمة لقتلهم . وكانت هناك موجة من الوفيات الناجمة عن تعذيبهم بطريقة غير معهودة باستخدام مادة لاصقة قوية جدا توضع داخل مؤخراتهم لإغلاقها كليا.
المادة اسمها الصمغ الأميري ، وهو صمغ إيراني يؤدي للصق الجلد ببعضه بحيث لا يمكن فتحه إلا بعملية جراحية . بعد الإغلاق يتم إعطاؤهم مادة مسهلة لشربها ويحصل إسهال بلا وجود منفذ ، وهذا يؤدي الى الموت . وتم توزيع هذه المشاهد في كليبات قصيرة على أجهزة الموبايل في بغداد.

مثليو الجنس موجودون فعلا؟!

ويعتبر الطبيب النفساني سالم الزبيدي ان الشذوذ حالة مرضية نفسية يجب علاجها ولكن ليس بقتل المريض، وكشف عن ان نسبة المثليين في العراق من الرجال تتراوح بين ٢ و ٤٪ وتصل الى ٢٪ بين النساء.
ويشرح الزبيدي ان اسباب هذا المرض متعددة، منها ازدياد معدلات الكبت في المجتمع ، وفصل الذكور عن الاناث ، حيث تكثر هذه الامراض في المجتمعات الاحادية ، السجون ،الجيش ، المستشفيات الخاصة بالامراض العقلية ،و المدارس المنفردة غير المختلطة .
ويؤشر الطبيب النفساني الى علاقة الكثافة السكانية بازدياد الامراض الجنسية ، حيث اظهرت دراسة اجراها وجود ٥١ حالة مرضية (مثللين)، ٤١ منها في الرصافة بسبب ان الكثافة السكانية في هذا الجانب من بغداد اكبر، مقابل ١٠ فقط في الكرخ الأقل كثافة بالسكان.
ويلاحظ الدكتور الزبيدي اسبابا للشذوذ الجنسي ذات منشأ اجتماعي تتصل بتربية الاطفال، مثل اعطاء الطفل الذكر العاب بنات وبالعكس، او اطالة شعر الذكر كما الطفلة الانثى ، مؤكدا ان التشدد في التربية وكذلك الدلال المفرط يعدان من الظروف المساعدة لظهور الحالة.
ولا ينفي الزبيدي حدوث بعض التشوهات المرضية كأن يولد الذكر او الانثى بهرومونات لاتمت بصلة الى جسده، موضحا " يمكن اجراء عمليات تحويل جنس بموافقة المريض ...اذا كان الامر ممكنا ".
وينادي الاطباء النفسيون، ومن ضمنهم الزبيدي، الى تدريس الثقافة الجنسية في المدارس ولو بشكل مبسط لتجنيب الاطفال والمراهقين اللجوء الى اساليب غير صحية في التعرف على اسرار الحياة الجنسية.
تقول منظمة "هيومن رايتس ووتش" المعنية بحقوق الانسان بعد لقاءات اجرتها مع أطباء ان المئات من الرجال مثليي الجنس قد تعرضوا للتعذيب ، كما تم قتل المئات غيرهم ، ولكن لا يُعرف العدد الدقيق بسبب وصمة العار المرتبطة بالمثلية الجنسية في العراق. تقول المنظمة في تقريرها"من المفترض أن يقوم قادة العراق بالدفاع عن جميع العراقيين، لا أن يدعوهم فريسة لسفراء الكراهية المسلحين" ، وقال سكوت لونغ مدير برنامج المثليات والمثليين وثنائيي الجنس والمتحولين جنسيا في هذه المنظمة في تصريحات صحفية سابقة "إن التغاضي عن التعذيب والقتل يهدد حقوق وحياة كل العراقيين."

ماذا حدث قبل هذا التاريخ؟

"في اعوام ، قامت جماعات غير معروفة بملاحقة مثليين جنسيا، وقتلهم " ، وقال قيصر، الذي يستخدم اسما مستعارا خوفا من الانتقام "لقد أصبح البلد في حرب واسعة النطاق ضد المثليين جنسيا."
وأقر مسؤولون عراقيون أن الثقافة العامة في البلاد تصم المثلية الجنسية بالعار ، لكنه قال ان الحكومة لا تتغاضى عن مثل هذه الهجمات. وقال المتحدث باسم الحكومة علي الدباغ ان السلطات غير قادرة على توفير حماية خاصة للمثليين جنسيا.
ووفقا ل"هيومن رايتس ووتش" فإن "عناصر من قوات الأمن في البلاد يشاركون في الهجمات" ، وقال لونغ ان مجموعة مقابلات مع أكثر من ٥٠ شخصا اكدت انهم تعرضوا للضرب والانتهاكات عند نقاط التفتيش الأمنية.
ويؤكد المتحدث باسم الحكومة وجود حملة لتوعية رجال الشرطة حول حقوق الإنسان، مشددا على ان الحكومة لا تسمح للهجمات ضد المدنيين ، بما في ذلك المثليون جنسيا.

بحث يؤكد خطورة فصل الجنسين في المدارس .. والكثافة السكانية عامل مساعد

في الطريق لمعرفة حجم المشكلة ...

وبّخنا قاض في وزارة العدل "إضاعة الوقت" في مثل هذه القضية ، محذرا من استخدام اسمه في هذا الموضوع ، ومعتبرا ان "جرائم اللواط" هي "نادرة جدا" في المجتمع ، وأكثر ندرة في المحاكم. "يجري الحديث عن هذا الموضوع في الزوايا المظلمة وليس هنا ... انه ليس على رأس قائمة أولوياتنا " ، مضيفا " الفساد والرشوة ، قضايا الارهاب ، خطف وقتل ...انه عملنا ". ويرفض مستشارون في الحكومة العراقية الحديث عن حقوق المثليين او حتى الاعتراف بوجودهم .
الملاذ الوحيد للمثليين جنسيا يبدو أنه يأتي من الناشطين في الخارج. (ع . هـ) يدير منظمة غير حكومية لـ (السحاقيات والمثليين والمخنثين والمتحولين جنسيا) ، وهي مجموعة تعمل من لندن. كان لديه ٤٠ متطوعا في العراق لكن "بعد الغارات الاخيرة للمسلحين" فقد الاتصال مع نصف المتطوعين كما يقول." انهم ينتقلون إلى منازل آمنة لحمايتهم وبهويات مختلفة ، ولكن عملهم خطير للغاية".
أحد العاملين في المجموعة اختطف من أمام منزله في بغداد على يد رجال يرتدون الزي العسكري. كان معروفا في منطقته بانه "يمارس الدعارة الرجالية ". وقال والده (ح. س) انه بحث عن ابنه لمدة ثلاثة ايام بعد اختطافه ، ثم عثر عليه وقد أصيب بعيار ناري في الرأس.
(ح . ج)، ٣٨ عاما ، يسعى حاليا للجوء الى المملكة المتحدة. يقول ان الاعتداءات بدأت تتصاعد في الحي الذي يسكن فيه .
في احدى الليالي ، وهو عائد من العمل الى المنزل ، وجد نفسه محاطا بخمسة رجال ، قال له احدهم إن عليه أن يصبح رجلا بدل من امرأة ، ويترك ارتداء الجينز والقمصان التي تحمل كتابات باللغة الإنجليزية ، وتجمع حشد لمشاهدة العرض حيث طُرح على الأرض وتعرض للضرب والركل.
استمرت هذه التهديدات وحطم الرجال المسلحون منزل أسرته ومكان عمله. (ح . ج) غادر البلاد أخيرا و شريكه علي لم يكن محظوظا جدا، فقد عُثر على جثته بعد ايام من مغادرة الاول .
ويقول (ع .هـ)، منسق مجموعة من الرجال المنفيين العراقيين من مثليي الجنس انه رصد هجمات ضد المثلية الجنسية داخل العراق "الشباب أحمد كان ضحية للفقر" ...تم إعدامه من قبل المسلحين".
واعتقل والد احمد واستجوب قبل يومين من قتل ابنه على يد "الشرطة الاخلاقية الوهمية " الذين طلبوا أن يعرفوا عن أنشطة أحمد الجنسية. احمد كان ينام مع الرجال من أجل المال لدعم الأسرة المنكوبة بالفقر التي فرت من المنطقة خوفا من هجمات انتقامية أخرى، مضيفا "كثيرا من المثليين جنسيا لديهم رغبة في مغادرة البلاد ".
وعلى صعيد اخر يقول المنسق أن الإنترنت كان هبة للمثليين في العراق "على مدى سنوات كنت قد تحدثت إلى العديد من الناس على وشك الانتحار الذين كانوا بسعادة غامرة لمجرد العثور على مواقع للمثليين. لم يكن لديهم فكرة عن وجود عدد كبير من اقرانهم على الموقع ".

الاسم الجديد : انه امرأة

"باسم" الذي فضل أن يطلق عليه "باسمة"، النسخة النسائية من اسمه، يرتدي شعرا مستعارا طويلا، لانه تعرض لرصاصة ثقبت اسفل اذنه اليمنى . فمن غير المألوف بالنسبة للذكورفي العراق وضع ماكياج ابيض يغطي الوجه . يقول عنها " انها نظرة لمثليي الجنس من الرجال في بعض مناطق بغداد الشعبية الذين يفضلون البشرة الفاتحة".
بالمقابل يقول (س. م)،وهو احد المثليين " دائما مثليي الجنس في أوضاع إنسانية صعبة في العراق حيث يتعرضون لكل إشكال العنف النفسي والمعنوي حيث يضعهم المجتمع في موضع سخرية وطالما أعلنت العشائر سابقا وحتى اليوم بكل وضوح هدر دماء هؤلاء المثليين".
و يضيف زميل له، ٢٨ عاما ، لا يختلف عنه من حيث الملابس الضيقة ومضغ العلكة بطريقة غريبة "لا يستطيع هذا المجتمع الذكوري تقبل فكرة حق العيش بكرامة لامثالنا حتى وان كانت الأسباب ولادية". يشير بيده بطريقة نسائية الى الشارع الذي نطل عليه من خلال نافذة احدى المقاهي في شارع الكرادة، ويقول "المثليون كأنهم عالة على المجتمع ويجب التخلص منهم كقتلهم أو حرقهم حتى إنهم لا يعاملون كحيوانات وإنما أحقر ذلك ان المجتمع لا يستطيع تقبل الأخر بسبب الأفكار التي هيمنت عليه".
ويعتبر الناشط المدني في حقوق الانسان (م . م) الذي اكتفى بذكر حروفه الاولى خوفا من انتقام بعض الجهات " ان الشذوذ الجنسي هو إلى حد كبير مستهجن في المجتمع العراقي ، ويبدو أن التعاطف مع محنتهم المتدهورة غير موجود حيث ينظر الى مثلي الجنس بانه منط اخلاقيا وينتهك القيم الاجتماعية ويهدد المجتمع . وقال (م.م) : رأيت هجوما على احد هؤلاء الشباب،وقال احد المهاجمين في النهاية "إن الكلب حصل على ما يستحقه."

ماذا عن القانون ؟

في عام ٢٠٠١ ، قدم تعديل على قانون العقوبات، واعتبر سلوك مثليي الجنس بين البالغين برضاهم جريمة. وفي ذلك العام ، أصدر مجلس قيادة الثورة المنحل مرسوما يجعل من البغاء وسفاح القربى واللواط والاغتصاب جرائم يعاقب عليها بالإعدام. ويعتقد أن إدخال عقوبة الإعدام بشكل مفاجئ عن هذه الأفعال كان مرتبطا بوجود رغبة من قبل صدام حسين لكسب تأييد المحافظين والمتشددين دينيا.
وفي عام ٢٠٠٣ اصدر الحاكم المدني لسلطة التحالف المؤقتة بول بريمر سلسلة من المراسيم التي أعادت قانون العقوبات العراقي(١٩٦٩) مرة أخرى إلى موقعه الأصلي، حيث ألغيت عقوبة الإعدام التي اعادتها الحكومة العراقية عام ٢٠٠٥) ، وازيلت معظم القيود المفروضة على حرية التعبير والتجمع.
في ٥ شباط ، ٢٠٠٥ صدر عن منظمة الامم المتحدة تقرير بعنوان "العراق : ذكر الشذوذ الجنسي لا يزال من المحرمات" ذكر ، بين أمور أخرى ، أن "جرائم الشرف" من جانب العراقيين ضد أحد أفراد الأسرة شائعة ، في حالات مثليي الجنس.
يوفر الدستور العراقي الجديد الحماية ضد التمييز القائم على مجموعة متنوعة من الأسباب ، بما في ذلك الجنس والدين والمعتقد والرأي والمكانة الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن لا يذكر صراحة الشذوذ الجنسي.
ومع ذلك ، فإن المادة ١٧ من هذا الدستور تنص على أن "لكل شخص الحق في الخصوصية الشخصية طالما أنها لا تنتهك حقوق الآخرين أو الأخلاق العامة".ومع ذلك فإن التمييز ضد مثليين جنسيا لا يزال متفشيا.
في ظل نظام صدام حسين المقبور كان يعاقب الشذوذ الجنسي باستخدام أقسى الأساليب ، وغالبا ما تنطوي على التعذيب.
ووفقا لتقديرات من وزارة حقوق الإنسان ، فان الذين تعرضوا للتعذيب من قبل المسؤولين في النظام السابق كانوا أكثر من ٣٠٠٠ رجل من المثليين بين عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٣.

واخيرا ... لايمكنهم ان يبقوا معنا ؟!

"اللواط مخالف للقانون" ، يقول الملازم (م . ع) ، في مركز للشرطة في حي الكرادة التي أصبحت تجمعا لمثليي الجنس من الرجال بالقرب من بعض المقاهي. مضيفا "انهم مثيرون للاشمئزاز".
يؤكد الملازم" يتم القبض على البعض منهم إذا شوهدوا وهم يمارسون الجنس ، ولكن الشرطة تحاول طردهم من المنطقة"، مشددا " نحن نتأكد من أن هؤلاء الناس لا يستطيعون الحصول على مقعد معنا في مقهى أو نسير معا في الشارع ... نجعلهم يتفرقون".

بعض حالات الشذوذ منشأها ولادي